

حذار من علماء السوء
قطاع الطريق إلى الآخرة

يا رجال الدين يا ملح البلد!
من يصلح الملح إذا الملح فسد؟!



حذار من علماء السوء قُطَاع الطريقِ إِلَى الآخرة

بعد أن طوّفنا بك في بساتين الربانيين وجمعنا لك من أزهاير الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الصالحين حذار أن تخالف نهجهم وأن تسير على غير منوالهم فيكون العلم وبالإعانة عليك، فالعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه حلّ وإلا ارتحل.

● قال رسول الله ﷺ: «غيرُ الدجالِ أخوفُ على أمتي من الدجالِ الأئمةِ المُضِلُّون»^(١).

● وقال ﷺ: «أكثرُ منافقي أمتي قرأوها»^(٢).

● وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلْقَى في النار، فتندلق أفتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألسنتك تأمرك بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن الشر وآتية»^(٣).

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي ذر، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٨٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو، وأحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن عقبه بن عامر، والطبراني في «الكبير» وابن عدي عن عصمة بن مالك، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٥٠)، و«صحيح الجامع» رقم (١٢١٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

تندلق: تخرج من مكانها بسرعة.

الأفتاب: جمع قتب: وهي الأمعاء. الرحي: الطاحون.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «مررت ليلة أُسريَ بي بأقوام تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»^(١).

● وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها» رواه مسلم.

● وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق؟ وعن جسمه فيم أبلاه»^(٢).

● وقال صلوات الله عليه وسلم: «مثل الذي يُعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج، يُضيء للناس ويحرق نفسه»^(٣).

● وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «مثل الذي يُعلم الناس الخير وينسى نفسه، مثل الفتيلة، تُضيء على الناس، وتحرق نفسها»^(٤).

□ قال الثوري - رحمه الله -: «إنما يُتعلّم العلم ليُتقى به الله، وإنما

(١) رواه ابن أبي الدنيا ابن وابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب». ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في رواية لهما «ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به».

(٢) صحيح: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن جندب بن عبد الله الأزدي، قال المنذري: وإسناده حسن إن شاء الله، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب».

(٤) صحيح: رواه البزار قال المنذري: والطبراني في «الكبير» كما قال السيوطي والهيثمي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب».

فُضِّلَ العلم على غيره لأنه يُتَّقَى به الله». فإن لم يثمر العلم عملاً به فما هو بعلم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

□ قال ابن كثير - رحمه الله -: «يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحُمِّلوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسيّاً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء قوم لهم فهم لم يستعملوها»^(١).

□ وقال القرطبي - رحمه الله -: ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ أي: كلّفوا العمل بها، ضُرب مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ هي جمع سفر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يُسفر عن المعنى إذا قرئ. وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلّم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذمّ ما لحق هؤلاء ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بها. شبههم والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بالحمار يحمل كتباً وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة»^(٢).

□ هذا خلاد بن يزيد الأرقط - الذي قال عنه أبو زيد عمر بن شبة -: «كان من الجبال الرواسي نبلاً يأتي سفيان بن عيينة للعلم فانظر ماذا قال له سفيان:

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٣٦٤).

(٢) «تفسير القرطبي» ص (٦٥٧٣).

قال خلاد: أتيت سفيان بن عيينة فقال: «إنما يأتي بك الجهل لا ابتغاء العلم، لو اقتصر جيرانك على علمك كفاهم، ثم كَوْمَ كومة من بطحاء ثم شقها بإصبعه ثم قال: هذا العلم أخذت نصفه، ثم جئت بتبغى النصف الباقي فلو قيل: رأيت ما أخذت هل استعملته؟ فإذا صدقت قلت: لا، فيقال لك: ما حاجتك إلى ما تزيد به نفسك وقرأ على وقر! استعمل ما أخذت أولاً»^(١).

□ وقال وهيب بن الورد: مثل عالم السوء كمثل حجر دُفِع في ساقية فلا هو يشرب من الماء، ولا هو يُخَلِّي عن الماء فيحيا به الشجر، ولو أن علماء السوء نصحوا لله في عباده فقالوا: يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم به عن نبيكم، وصالح سلفكم، فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا فإننا قوم مفتونون، كانوا قد نصحوا لله في عباده، ولكنهم يريدون أن يدعوا عباد الله إلى أعمالهم القبيحة فيدخلوا معهم فيها»^(٢).

□ وقال سفيان بن عيينة: «العلم إن لم ينفعك ضرك».

□ قال الخطيب: «يعني إن لم ينفعه بأن يعمل به، ضره بكونه حجة عليه»^(٣).

□ يا معشر العلماء اسمعوا: العالم ما لم ينفعه الله بعلمه فهو من أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به، فعرّفه نعمه فعرّفها، قال: ما

(١) «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي ص (٨٤).

(٢) المصدر السابق ص (٦٧).

(٣) المصدر السابق ص (٥٦).

عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: فلان جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرّفه نعمه، فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت: ولكنك تعلمت ليُقال: عالم، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسَّعَ اللهُ عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتِيَ به، فعرّفه نعمه، فعرّفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار»^(١).

□ قال ابن القيم - رحمه الله -: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: كما أن خير الناس الأنبياء، فشرّ الناس من تشبّه بهم يوهم أنه منهم وليس منهم، فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والصدّيقون والمخلصون، وشرّ الناس من تشبّه بهم يوهم أنه منهم وليس منهم»^(٢).

□ روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تُخالف سريرتهم علانيتهم، ويُخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل»^(٣).

(١) رواه مسلم والنسائي والترمذي وحسنه، وابن حبان في «صحيحه».

(٢) «الداء والدواء» ص(٣١).

(٣) «جامع بيان العلم» ص(٢٤٥).

وذكر مالك أنه بلغه عن القاسم بن محمد: أدركت الناس وما يُعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل»^(١).

□ وقال الحسن - رحمه الله -: اعتبروا الناس بأعمالهم ودعو أقوالهم، فإن الله لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يُصدِّقه أو يكذِّبه، فإذا سمعت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه، فإن وافق قوله فعله فنعمة ونعمة عين»^(٢).

□ قال الفضيل - رحمه الله -: إنما يُراد من العلم العمل، والعلم دليل العمل.

* من لم يعمل بعلمه فهو جاهل:

من لم يثمر علمه عمله به فهو جاهل... وهذا النوع من الجهل سماه ابن القيم «جهل العمل».

□ قال ابن القيم - رحمه الله -: «الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه. فكلاهما جهل لغة وعرفاً وشرعاً وحقيقة».

* قال موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] لما قال له قومه: ﴿اتَّخِذْنَا هُزُؤًا﴾ أي: من المستهزئين.

* وقال يوسف الصديق: ﴿وَالْأَتَّصِرُفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٢٣] أي: من مرتكبي ما حرمت عليهم.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ أن كل ما عصي الله به فهو جهالة. وقال غيره: أجمع الصحابة أن كل من عصى الله فهو جاهل. وسمي عدم

مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به فنزل منزلة الجهل. وإما لجهله بسوء ما تجنى عواقب فعله. فالفرار المذكور - أي منزلة الفرار من «منازل السائرين» - هو الفرار من الجهلين: من الجهل بالعلم إلى تحصيله، اعتقاداً ومعرفة وبصيرة في العلم. ومن «جهل العمل» إلى السعي النافع، والعمل الصالح قصداً وسعيًا»^(١).

□ والخشية هي العلم، والقيام بحق العلم من العبادة هي العلم.

* قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِذَا الْأَبَابِ﴾ [الزمر: ٩] فسمى التهجد علماً.

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار به جهلاً.

□ وقال رجل للشعبي: أيها العالم، فقال: إنما العالم من يخشى الله. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقتضي أن كل من خشي الله فهو عالم، ويقتضي أيضاً أن العالم من يخشى الله.

«فإذا كان العلم يوجب الخشية الحاملة على فعل الحسنات، وترك السيئات، وكل عاص فهو جاهل ليس بتام العلم، تبين ما ذكرنا من أن أصل السيئات الجهل وعدم العلم»^(٢).

□ قال مجاهد: من عمل ذنباً - من شيخ أو شاب - فهو بجهالة. وقال: من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته. وقال أيضاً: هو إعطاء الجهل العمد. وقال مجاهد أيضاً: من عمل سوءاً خطأ، أو إثماً

(١) «مدارج السالكين» (١/٤٦٩).

(٢) «الحسنة والسيئة» لابن تيمية ص (٥٩).

عمداً، فهو جاهل حتى ينزع منه.

□ يا من حملت العلم بين جنبيك أعلم أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه قولاً أو عملاً، أو لا قولاً ولا عملاً، وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون. ولهذا كان السلف، كسفيان بن عيينة وغيره يقولون: «من فسد من علمائنا: ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»^(١).

* قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتِّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الاعراف: ١٧٥-١٧٦].

□ قال ابن القيم - رحمه الله -: «شبه سبحانه من آتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودينه على آخرته، والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو من أحسن الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخسها نفسًا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدّها شرهاً وحرصاً، ومن حرصه: أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم، ويستروح حرصاً وشرهاً، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاء جسمه، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته، وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضها بالدنايا. والجيف القدرة المروحة أحب إليه من اللحم، والعدرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميعة تكفى مائة كلب لم يدع كلباً يتناول معه منها شيئاً إلا هراً عليه وقهره، لحرصه وبخله وشره».

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص(٥).

ومن عجيب أمره وحرصه: أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب ذنية، وحال رزية نبهه، وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له، ومنازعته في قوته. وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورياسة: وضع له خطمه بالأرض، وخضع له، ولم يرفع إليه رأسه.

وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة - مع وفور علمه - بالكلب في حال لهته سرّ بديع، وهو أن هذا حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه، إنما كان لشدة لهفه على الدنيا، لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال انزعاجه وتركه. واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى.

□ قال ابن جريج^(١): الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له: إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. فهو مثل الذي يترك الهدى، لا فؤاد له إنما فؤاده منقطع.

قلت: مراده بانقطاع فؤاده: أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا هذا الذي انسلك من آيات الله، لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر على الدنيا، وترك اللهف عليها، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عنها، وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبراً عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش، وإذا كان فيه صبر على الجوع. وعلى كل حال فهو أشد الحيوانات لهثاً: يلهث قائماً، وقاعداً، وماشياً، وواقفاً. وذلك لشدة حرصه، فحرارة الحرص في كبده تُوجب له دوام اللهث.

(١) انظر «الطبري» (١٢٩/٩).

فهكذا مشبهه: شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث، وإن تركته ولم تعظه فهو يلهث.

□ قال مجاهد: ذلك مثل الذي أوتي الكتاب ولم يعمل به.

□ وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن تركه لم يهتد إلى خير، كالكلب إن كان رابضاً لهث، وإن طُرد لهث.

□ وقال الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحق، دُعِيَ أو لم يدع، وُعِظَ أم لم يوعظ. كالكلب يلهث طرداً وتركاً.

□ وقال عطاء: ينبغ إن حملت عليه أو لم تحمل عليه.

□ وقال أبو محمد بن قتيبة^(١): «كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش أو علة إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال الصحة، وحال المرض والعطش». فضربه الله لمن كذب بآياته، وقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال. كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث.

* ونظيره قوله سبحانه: ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ [الأعراف: ١٩٣].

□ وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعاني:

فمنها قوله: ﴿آيَاتِنَا آيَاتِنَا﴾ فأخبر سبحانه أنه هو الذي آتاه آياته، فإنها نعمة والله هو الذي أنعم بها عليه، فأضافها إلى نفسه. ثم قال: ﴿فانسَلْخْ مِنْهَا﴾ أي: خرج منها، كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد

(١) انظر «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص (٣٦٩).

يُسلخ عن اللحم.

ولم يقل فسلخناه منها؛ لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباعه

هو.

□ ومنها: قوله سبحانه: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لحقه وأدركه، كما قال في قوم فرعون ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾، وكان محفوظاً محروساً بآيات الله محمي الجانب بها من الشيطان لا ينال منه شيئاً إلا على غرة وخطفة. فلما انسلك من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ العاملين بخلاف علمهم، الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه، كعلماء السوء.

□ ومنها: أنه سبحانه قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهِ﴾ فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم، فإن هذا كان من العلماء، وإنما هي اتباع الحق وإيثاره، وقصد مرضاه الله، فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه، ولم يرفعه الله بعلمه، ولم ينفعه به. نعوذ بالله من علم لا ينفع.

وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه من العلم، وإن لم يرفعه الله فهو موضوع، لا يرفع أحد به رأساً. فإن الرب الخافض الرافع سبحانه خفضه ولم يرفعه. والمعنى: لو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناها.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو شئنا لرفعناه بعلمه.

□ وقالت طائفة: الضمير في قوله: ﴿لَرَفَعْنَاهُ﴾ عائد على الكفر. والمعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بما معه من آياتنا. قال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر بالإيمان وعصمناه. وهذا المعنى حق. والأول هو مراد الآية. وهذا من لوازم المراد.

وقد تقدم أن السلف كثيراً ما ينبهون على لازم معنى الآية، فيظن الظان

أن ذلك هو المزد منها .

* وقوله: ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ قال سعيد بن جبير: ركن إلى الأرض، وقال مجاهد: سكن، وقال مقاتل: رضي بالدنيا. وقال أبو عبيدة: لزمها وأبطأ.

والمخلد من الرجال هو الذي يبطئ في مشيته .

□ وقال الزجاج: خلد وأخلد، وأصله من الخلود: وهو الدوام والبقاء .
يقال أخلد فلان بالمكان إذا أقام به .

* وقوله: ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ قال الكلبي: اتبع مسافل الأمور، وترك معاليها .

□ وقال أبو روق^(١): اختار الدنيا على الآخرة. وقال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه فإن قيل: الاستدراك بـ «لكن» يقتضي أن يثبت بعدها ما نفي قبلها، أو ينفي ما أثبت، كما تقول: لو شئت لأعطيته، لكنني لم أعطه، ولو شئت لما فعلت كذا لكنني فعلته، والاستدراك يقتضي: ولو شئت لرفعناه بها ولكننا لم نشأ، أو لم نرفعه، فكيف استدرك بقوله: ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ .

قيل: هذا من الكلام الملحوظ فيه جانب المعنى، المعدول فيه عن مراعاة الألفاظ إلى المعاني، وذلك أن مضمون قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ أنه لم يتعاط الأسباب التي تقتضي رفعه بالآيات: من إثارة الله ومرضاته على هواه، ولكنه آثر الدنيا، وأخلد إلى الأرض واتبع هواه^(٢) .

□ قال القرطبي - رحمه الله -: «وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم

(١) أبو روق، هو عطية بن الحارث، صدوق.

(٢) «إعلام الموقعين» (١/٢١٦).

بالتأويل عام في كلِّ من أُوتي القرآن فلم يعمل به. وقيل: هو في كل منافق. والأول: أصح.

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾، أي: إن تحمل عليه بدابتك أو برجلك يلهث أو تتركه يلهث. وكذلك من قرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه. وقال غيره: هذ شر تمثيل؛ لأنه مثله في أنه قد غلب عليه هواه حتى صار لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بكلب لاهث أبداً، حمل عليه أو لم يُحمل عليه؛ فهو لا يملك لنفسه ترك اللّهان.

وقيل: من أخلاق الكلب الوقوع بمن لم يخفه على جهة الابتداء بالجفاء، ثم تهدأ طائشته بنيل كلِّ عوض خسيس. ضربه الله مثلاً للذي قبل الرشوة في الدين حتى انسلخ من آيات ربه. فدلت الآية لمن تدبّرها على ألا يغترّ أحد بعلمه ولا بعمله؛ إذ لا يدري بما يُختم له. ودلت على منع أخذ الرشوة لإبطال حق أو تغييره. ودلت على منع التقليد لعالم إلا بحجة يبينها؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أعطى هذا آياته فانسلخ منها، فوجب أن يخاف مثل هذا على غيره وألا يُقبل منه إلا بحجة^(١).

□ قال ابن القيم - رحمه الله -: هذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه.

تأمل ما تضمّنته هذه الآية من ذمّه وذلك من وجوه:

أحدها: أنه ضلّ بعد العلم واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً، فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي معه شيء لم ينسلخ منها.

(١) «تفسير القرطبي» ص (٢٧٥٩).

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ولم يقل تبعه، فإن في معنى أتبعه أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى.

ورابعها: أنه غوي بعد الرشد، والغى: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقتربنا فالفرق ما ذكر.

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه لأنه لم يرفع به فصار وبالاً عليه، فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه. وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خسة همته وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاء اللزوم على الدوام كأنه قيل: لزم الميل إلى الأرض. وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض، لأن الدنيا هي الأرض وما فيها يستخرج منها من الزينة والمتاع.

وثامنها: أنه رغب عن هداه، واتبع هواه، فجعل هواه إماماً له يقتدي به ويتبعه.

وتاسعها: أنه شبه بالكلب الذي هو أخص الحيوانات همّة، وأسقطها نفساً وأبخلها، وأشدّها كلباً، ولهذا سمي كلباً.

وعاشرها: أنه شبه لهته على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه في تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد، وهكذا. هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا، وإن وعظ وزجر فهو كذلك

فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب .

□ قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة، وحال الريّ وحال العطش فضربه الله مثلاً لهذا الكافر فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته في حاله لهث، وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك أحسن ما يكون وأشنعه^(١).

* عالم السوء :

وقفنا طويلاً أمام مثل عالم السوء الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، وهو «مثل رهيب عجيب، وما تنفك ظلاله القاتمات تملأ النفس رهبة ووجلاً، وتدخل على القلب بالهم والحزن أن يصير إنسان إلى هذه الحال - أي إنسان - ولكن الذي صار إليه رجل من أعلم أهل زمانه وكذلك يصير من هو على شاكلته انسلخاً من آيات الله، وإخلاقاً إلى الأرض واتباعاً للهوى، ثم هو في الدنيا يقعد من الناس مزجر الكلب، وفي الآخرة عذاب عظيم، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم كانوا يظلمون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يصرفون الناس عن الله بسلوكهم وأعمالهم»^(٢).

* تلبيس إبليس :

□ قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «إن أقواماً علت همهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقهاء والأدب وغير ذلك، فأتاهم إبليس بخفيّ التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم؛ فمنهم من

(١) «الفوائد» لابن القيم (١٠٠ - ١٠٢).

(٢) «ذم الجهل» لمحمد بن سعيد بن رسلان - ص (١٥٧ - ١٥٨) - دار العلوم الإسلامية.

يستفزه لطول عنائه في الطلب، فحسن له اللذات، وقال له: إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وأفسح لنفسك في مشتهاها؛ فإن وقعت في زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة، وأورد عليه فضل العلماء.

فإن خُذِلَ هذا العبد وقَبِلَ هذا التلبيس يهلك، وإن وُقِّقَ فينبغي له أن يقول: جوابك من ثلاثة أوجه:

* أحدها: إنه إنما قُضِلَ العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى، وإذا لم أعمل به كنتُ كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل، فلم ينفعه ذلك من جوعه.

* والثاني: أن يعارضه بما ورد في ذم من لم يعمل بالعلم.

* والثالث: أن يذكر له عتاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم، كإبليس وبلعام. ويكفي في ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾.

وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين في العلم والعمل من جهة أخرى، فحسن لهم الكبر بالعلم والحسد للنظير والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم. وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ.

وعلاج هذا لمن وُقِّقَ إدمان النظر في إثم الكبر والحسد والرياء، وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يُضاعف عذابها لتضاعف الحجة به.

ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استقرت نفسه فلم يتكبر، ومن عرف الله لم يراء، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة؛ فيقول طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع فإنكم تطلبون إعزاز الدين ودحض أهل البدع، وإطلاقكم الكلام في الحساد غضب للشرع؛ إذ الحساد قد ذموا من قام به، وما تظنونهم رياء فليس برياء؛ لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطيب إذا احتذى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف.

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقه، أو قال حاسد عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه، وإن كان المذكور من نواب الشرع، فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم.

وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس. وبعد هذا فالأعمال بالنيات، والناقد بصير. وكم من ساكت عن غيبة المسلمين، وإذا اغتیبوا عنده فرح قلبه، وهو آثم ذلك من ثلاثة وجوه:

* أحدها: الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب.

* والثاني: لسروره بثلب المسلمين.

* والثالث: أنه لا ينكر.

وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين، ويكون مقصودهم الباطن؛ انتشار الذكر، وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنّف.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه، أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم.

□ قال بعض السلف: ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفیده الناس

من غير أن يُنسب إليّ - قلت: هو الشافعي - رحمه الله تعالى - .
ومنهم من يفرح بكثرة الأتباع، ويلبّس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة
طلاب العلم؛ وإنما مراده كثرة الأصحاب، واستطارة الذكر، ومن ذلك
العُجب بكلامهم وعلمهم.

وينكشف هذا التليس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه
ثقل ذلك عليه، وما هذه صفة المخلص في التعليم؛ لأن مثل المخلص مثل
الاطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى؛ فإذا شُفي بعض المرض
على يد طبيب منهم فرح الآخر.

● وعن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: أدركت عشرين ومائة من
أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يُسأل عن شيء إلا ودّ أن
أخاه كفاه، ولا يحدث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه.

وقد يتخلص العلماء الكاملون من تليسات إبليس الظاهرة، فيأتيهم
بخفيّ من تليسه؛ بأن يقول له: ما لقيت مثلك، ما أعرفك بمداخلي
ومخارجي؛ فإن سكن إلى هذا هلك بالعُجب، وإن سلم من المسألة له سلم.

□ وقد قال السري السقطي: لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه من جميع ما
خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله عز وجل من
الطيّار، فخاطبه كل طائر بلغته؛ وقال: السلام عليك يا وليّ الله فسكنت
نفسه إلى ذلك، كان في أيديها أسيراً، والله الهادي لا إله إلا هو»^(١).

* علماء السوء:

□ قال ابن الجوزي يصف بعض علماء السوء في عصره: «قدم علينا

(١) «تليس إبليس» ص (١٢٩).

بعض الفقهاء من بلاد الأعاجم وكان قاضياً ببلده فأرأيتُ على دابته الذهب ومعه أتوار^(١) الفضة وأشياء كثيرة من المحرمات.

فقلت: أي شيء أفاد هذا العلم؟ بل والله لقد كثرت عليه الحجج، وأكبر الأسباب قلة علم هؤلاء بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله ﷺ؛ إنهم يجهلون الجملة، ويتشاغلون بعلم الخلاف، ويقصدون التقدم بقشور المعرفة وليس يعينهم سماع حديث ولا نظر في سير السلف، ويخالطون السلاطين فيحتاجون إلى التزبي بزيتهم، وربما خطر لهم أن هذا قريب، وإن لم يخطر لهم فالهوى غالب بلاصاد، نعم، ربّما خطر لهم أن يقولوا: هذا يحتمل ويغفر في جانب تشاغلنا بالعلم، ثم يرون العلماء يكرمونهم لنيل شيء من دنياهم، ولا ينكرون عليهم، ولقد رأيت من الذين يتسبون إلى العلم من يستصحب المردان، ويشترى المالك، وما كان يفعل هذا إلا من قد يشس من الآخرة. ورأيت من قد بلغ الثمانين من العلماء، وهو على هذه الحالة.

فالله الله يا من يريد حفظ دينه ويوقن بالآخرة، إياك والتأويلات الفاسدة، والأهواء الغالبة؛ فإنك إن ترخّصت بالدخول في بعضها جرّك الأمر إلى الباقي، وكم تقدر على الخروج لموضوع إلف الهوى فاقبل نصحي، واقنع بالكسرة، وابتعد عن أرباب الدنيا؛ فإذا ضجّ الهوى فدعه ولا تُجبه. فالصبر الصبر على شظف العيش والبعث عن أرباب الهوى.. فما يتم دينٌ إلا بذلك. ومتى وقع الترخص حمل إلى غيره، كالشاطي إلى اللجة، وإنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، ووجه أصبح من وجه؛ وإنما هي أيام بسيرة^(٢).

(١) أتوار: جمع تور وهو إزاء يشرب فيه وقد يتوضأ منه.

(٢) «صيد الخاطر» ص (٣٦٣).

* علماء السوء قطاع الطريق إلى الجنة .. دعاة على أبواب جهنم :

□ قال ابن القيم - رحمه الله - : «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في هذه الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق»^(١).

* علماء السوء ممقوتون عند الله :

* ويكفي هؤلاء قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].
والمقت الذي يكبر عند الله هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر النكر .
وهذا غاية التفضيع لأمر، وبخاصة في ضمير المؤمن، الذي يُنادى بإيمانه،
والذي يناديه ربه الذي آمن به .

* علماء السوء :

□ إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن، وليس أبشع من تفریط المستحفظ،
وليس أخس من تدليس المستشهد.
□ إن الخطأ الأكبر أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.
□ يا ضيعة العمر إن نجا السامع وهلك المسموع، يا خيبة المسعى إن وصل التابع وانقطع المتبوع.

وَبَخَّتَ غَيْرَكَ بِالْعَمَى فَاَفَدْتَهُ بَصْرًا وَأَنْتَ مُحَسِّنٌ لِعِمَّاكَ
وَفَتِيلَةَ الْمَصْبَاحِ تَحْرِقُ نَفْسَهَا وَتُضِيءُ لِلْأَعْمَى وَأَنْتَ كَذَاكَ
□ أَوْ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَكُنَّا نَسْتَطِيبُ إِذَا مَرَضْنَا فَصَارَ هَلَاكُنَا بِيَدِ الطَّبِيبِ

□ قال الجنيد: متى أردت أن تشرف بالعلم وتنسب إليه، وتكون من أهله قبل أن تُعطي العلم ماله عليك، احتجب عنك نوره، وبقي عليك رسمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك، ولك أن العلم يشير إلى استعماله، فإذا لم تستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته.

□ يقول ابن الجوزي: «وجدت رأي نفسي في العلم حسناً، فهي تقدمه على كل شيء وتعتقد الدليل، وتفضل ساعات التشاغل به على ساعات النوافل، وتقول: أقوى دليل لي على فضله على النوافل؛ أني رأيت كثيراً من شغلهم نوافل الصلاة والصوم عن نوافل العلم، قد عاد ذلك عليهم بالقدح في الأصول، فرأيتها في هذا الاتجاه على الجادة السليمة والرأي الصحيح.

إلا أني رأيتها واقفة مع صورة التشاغل بالعلم، فصحتُ بها: فما الذي أفادك العلم. أين الخوف؟ أين القلق؟ أين الحذر؟؟

أو ما سمعت بأخبار أختيار الأخبار في تعبدهم واجتهادهم؟ أما كان الرسول ﷺ سيد الكل، ثم إنه قام حتى ورمت قدماه؟

أما كان أبو بكر رضي الله عنه شحيّ النشيج كثير البكاء؟

أما كان في خدّ عمر رضي الله عنه خطّان من آثار الدموع؟

أما كان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة؟

أما كان عليّ رضي الله عنه يبكي بالليل في محرابه حتى تخضلّ لحيته بالدموع؟

ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري؟

أما كان الحسن البصري يحيا على قوة القلق؟

أما كان سعيد بن المسيب ملازماً للمسجد لم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة؟

أما صام الأسود بن يزيد حتى اخضر واصفر؟

أما قالت بنت الربيع بن خيثم له: ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فقال: إن أباك يخاف عذاب البيات؟

أما كان أبو مسلم الخولاني يُعلّق سوطاً في المسجد يؤدب به نفسه إذا فتر؟

أما صام يزيد الرقاشي أربعين سنة؟ وكان يقول: والهفاه سبقني العابدون وقطع بي؟

أما صام منصور بن المعتمر أربعين سنة؟؟

أما كان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف؟

أما كان إبراهيم بن أدهم يبول الدم من الخوف؟

أما تعلمين أخبار الأئمة الأربعة في زهدهم وتعبدهم؟ أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؟

احذري من الإخلاق إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى والزمنى.

وَمُقْبِلٌ عَيْشِكَ لَمْ يُدْبِرْ

رَوَتْطَوِي الْوَرُودَ عَلَى الْمَصْدَرِ

لِي يَضُمَّكَ فِي حَلْبَةِ الْحَشْرِ

وَخَذْ لَكَ مِنْكَ عَلَى مُهَلَّةٍ

وَخَفْ هَجْمَةً لَا تُقِيلُ الْعَثَا

وَمَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَي الرَّعِي—

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوءٍ ورهبانها

* شيخ معمم في اللاذقية أيام الوحدة مع مصر يقول عن «المساح المختلطة»
أنها الجيل القوي الأمين الذي سيحرر فلسطين!! وكلمة حق من الشيخ
محمد المجذوب:

□ يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «خواطر ومشاعر»:

«دأبت منذ ثلث قرن على خدمة الكلمة المسلمة، أمراً بمعروف، أو نهياً
عن منكر، أو تذكيراً بحق، أو دعوة إلى خير... حتى صار ذلك جزءاً لا
يتجزأ من كياني، ولو كلفني ألوان البلاء من السجون والاعتداء، وحتى
المحاربة في الرزق... ومن هنا أصبح مثل هذا التعرض للمسئوليات، بالنسبة
إليّ، خلقاً لا سبيل إلى تجاهله أو عصيانه، كائنه ما كانت عواقبه؛ لأن
الموضوع ليس خاضعاً لمعايير الربح والخسارة، بمقدار ما هو حافظ نفسي يفرض
سلطانه دون أن يكون لي بإزائه أي خيار.

ثم إنني إلى ذلك من أعلم الناس بحساسية الأوضاع، التي لا يمكن أن
تتسع لأي نقد، بعد أن استمر سلطان الحزبية الثورية، التي لا تتورع عن
سحق أي بادرة من هذا النوع، لقد ظل دعاة هذه الحزبية عاجزين عن إطباق
قبضتهم على عنق البلاد، على الرغم من كل المحاولات الزائفة التي هولوا
بها على السذج، والحملات الإعلامية الرهيبة، التي شنوها على مخالفينهم
من قادة الأكرشيات الشعبية... أما الآن، وبعد قيام الوحدة السياسية بين
القطرين، التي وضعت في أيديهم أزمة البلد - ولو إلى حين - فقد حققوا كل
ما فاتهم، حتى ليعلمون حربهم على النظام الإلهي نفسه كما حدث يوم وقف
أحد وزرائهم يفتح مشروع سد الرسين بقوله: بعد اليوم لن نحتاج إلى
السماء...، ومع أن السماء قد ردت على ذلك التحدي الصبياني بحبس

الغيث عن الشام كلها، فلم تأذن لها بقطرة من الماء حتى تلك الساعة.. فإن قبضتهم لم تزل يشتد ضغطها على عنق البلاد، حتى بات من غير المتوقع أن يجرؤ إنسان على الإشارة إليها ولو همساً، إلا أن يكون كارهاً لحياته، أو مفارقاً لعقله..

ثم.. من أين لي أن أنسى تلك التظاهرة الحكومية الكبرى التي افتتح بها مسبح (الشاطئ الأزرق) في اللاذقية، أكبر تلك المذابح، إذ شارك فيها وزراء الإقليم، حتى الوزير الذي كان محسوباً على الإسلاميين، ومعروفاً بالسلوك المحافظ.. وقد حشد لها فريق من السباحين والسباحات من القطرين.. وألقى فيهم معمم غير مجهول تلك الكلمة الرائعة، التي كان منها قوله: (في هذه المدارس - يريد المسابح - سيتخرج الجيل القوي الأمين الذي سيحرر فلسطين)!!

وطبعي أن تعتبر تلك الحفلة يومئذ تعبير الدولة عن نظرتها الرسمية إلى مثل هذه المشاريع.. ولا سيما بعد إذاعة هاتيك الخطبة النفيسة، التي صفق لها كبار الشخصيات الرسمية والمدعوة، وحملتها وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمنظور إلى كل مكان.. وكان من حق هذا أن يقفل بي كل رغبة للكلام في غير هذا الاتجاه.. لو كان لمثل فضولي أن يتنفع بمنطق الواقع فيلجأ إلى أضعف الإيمان.

وتذكرت أنني عضو منتخب في تشكيلة (الاتحاد القومي).. الذي كنا نتوقع أن يكون له مهمة أخرى غير التدريب على الاستقبال والتصفيق.. ولعل لهذه الصفة أثرها الأكبر في اندفاعتي - غير المعقولة - التي حركت لساني بكل ذلك التنديد المزعج.. إذ قلت لنفسي: ما جدوى انتخابنا وتنظيماتنا، إذا لم يكن لأحدنا الحق في أن يقول للمخطئ: إنك مخطئ!!

ولم تذهب توقعاتي سدى.. فما إن انتهيت إلى مكثبي حتى طالعنتني

تلك المفكرة غير السارة.. متوجّعة بشعار (المباحث) وفيها دعوة (المدعو محمد المجذوب) إلى مواجهة المسؤولين وبأسرع وقت ممكن!

وكان ذلك عصر الخميس.. فخشيت أن أحجز هناك إلى يوم السبت، فقررت تجاهل الدعوة، وتأخرت المواجهة إلى صباح ذلك اليوم.

□ و طال انتظاري في غرفة الكاتب.. وكان ذلك مألوفاً بالنسبة إلى كل مدعو للمباحث العامة؛ لأنه أشد إثارة لأوهامه، وأعمق تأثيراً في أعصابه، ولا معنى للمباحث إذا هي تخلت عن هذا الطابع!

وعلى مقربة من وقت الظهر جاء الأذن ليبلغني موعد المقابلة، فانطلقت خلفه إلى مكتب الرئيس.. فإذا عنده الضابط الذي تتناقل الألسن أخبار شدته على الذين يقذف بهم القدر إلى يديه..

واستكمالاً للفائدة المنشودة عرفني الرئيس - بعد رد التحية - شخصية مساعده قائلاً: إنه فلان.. وضغط على اسمه بصورة تسترعي الانتباه، وتظاهرت بالهدوء، أجبت بمثل المداعبة: يسرني أن ألقاكما معاً..

وافتح الرئيس الحوار بهذا السؤال: لعل الرحلة كانت موفقة؟!..

- أتريد زيارتي لأهلي في طرطوس وبانياس؟..

- طبعاً.. فهل لك أن تحدثنا بما أقيت على الناس هناك؟..

- عسى أن يكون المخبر أكثر تذكراً مني لما قلت.. لأنني لم أتحدث إلى

الناس بشيء معدّ..

- لقد تكلمت عن المسابح.. وحذرت الناس شرها..

- المسابح المختلطة طبعاً!..

- هي لا غيرها..

- يظهر أن المخبر لم يكذبك.. إلا إنه نسي أنني لم أسمها مسابح بل

مذابح..

ولم يطق كتمان دهشته، فنظر إليّ فاغر الفم ثم قال: هكذا.. وفي دائرة حكومية تصرح بهذا!! ولم أجدني قادراً على التمويه فأجبت: تلك كلمة حق لا قيمة لها إن لم تقل.. واسمح لي أن أوجه مثلها إليكما أيضاً..

وصاح الرئيس وصاح معه المساعد الذي لم يحرك لسانه بغير هذه الكلمة «إلينا»!؟

- نعم إليكما.. إنها نصيحة لا يسقط الواجب إلا بأدائها.. وهي أن تتجنبنا تلك المذابح فلا تقرباها ولا سيما مع أهلكما..

وركز الرئيس مقعده باتجاهي وهو يقول: يظهر أنك لا تفكر بعواقب كلامك.. عليك أن تفهم أن هذه المسابح ليست إلا إحدى الوسائل المخططة لإخراج المرأة من قوقعتها.. تلك هي سياسة سيادته، ولا محيد عنها، أرجو أن تفهم هذا جيداً.

وابتسمت بقدر ما يساعد الموقف، ثم أجبت: إن سيادته مسلم، وكثيراً ما يعلن تقديره للإسلام.. فلا يعقل أن يرضى بما يناقض دين الله.. وأراد الرجل أن يسد باب الجدل، فإذا هو يتحول إلى التلويح بالسلطة، وفي لهجة مشحونة بالوعيد يسأل: من كلفك إرسال هذا الكلام!؟.. وهل أنت موظف في قسم الإرشاد!؟..

ولم أجد مندوحة عن الاستسلام إلى حوافز الضمير فقلت: بلى.. إنني موظف وفي القسم نفسه..

قال: ومن الذي وظفك؟.. ومتى..

قلت: اسمح لي أن أسألك: باسم من أنت توجه إلي هذا التحقيق؟

وفي شموخ متعال أجاب: إنني أتكلم باسم سيادة الرئيس..

قلت: إذن فاعلم أن رئيسي أكبر من رئيسك.. إنه الله الذي ألزمني

هذه المهمة منذ آمنت به وبرسوله! ..

وسادت القاعة لحظة صمت .. لم يلبث أن قطعه بقوله: إذن فاستعدّ لمغادرة البلاد بأهلك وسنعد لكم الجوازات اللازمة ..

وسألت بدوري: ولم هذا؟

قال: لأنك معارض لسياسة سيادة الرئيس .. ولا مقام في جمهوريتنا المتحدة لمن يرفض هذه السياسة! ..

وكان علي أن أفكر جاداً وبسرعة في ذلك العرض الذي لم أكن بكاره له، فقد طالما تطلعت إلى الضرب في أرض الله تطلع السجين إلى ما وراء الأسوار .. غير أنني تخوفت أن يكون وراء العرض خطة للاستدراج .. فأجمعت على التظاهر برفضه، وبالصراحة نفسها قلت للرجل: إنني امرؤ ذو رسالة أعمل لها منذ ثلث قرن، ولا يزال أمامي الكثير لإتمامها، ومن أجل ذلك لا أريد مغادرة وطني في الوقت الحاضر .. غير أنني أنصح لكم أن تدفعوا بمثل هذه الجوازات إلى جماعة (الهاشناق) فهم أحق بها من مثلي ..

وكانت أخبار هذه الفئة من الأرمن لا تبرح جديدة على ألسنة الناس، بعد الذي أذاعته وسائل الإعلام عن مصادرة أجهزتها التجسسية، حتى من بعض المعابد التابعة لها! .. وكأنه وجد في إشارتي إليها ما استدعى وقف الحديث .. فأعلن انتهاء المقابلة دون أية نتيجة ..

وعدت إلى البيت وفي نفسي أشتات التصورات، وما هي سوى أيام حتى تسلمت الأمر الصادر من السلطة المحلية بتسريحني من عملي في التدريس ..

وفي المساء نفسه جاء لزيارتي محام صديق، جعل يعزيني ويذكرني بما لا ينبغي أن أغفله من الثقة برحمة الله، وتكلم بعض أبنائي يعدون بأن يؤمنوا لي مثل راتبي الذي فقدته وفي اطمئنان غريب قلت لولدي: إنني

لشديد الأمل ألا يحوجني الله إلى معونتكم، وقلت لذلك الصديق: لقد أتيت ما أتيت نشداناً لمرضاة الله، وسترى يا صديقي أنه لن يغفلني ..

□ وكنت مدعوّاً لإلقاء بعض شعري في الحفلة التي يقيمها المجلس الثقافي بدمشق، فسافرت في اليوم التالي، وألقيت قصيدتي (ناقور القضاء) عن فلسطين واللاجئين .. ثم التقيت بوزير التعليم الإقليمي سيد يوسف، وقصصت عليه مشكلتي كاملة، فوجدت لديه إصغاء كريماً، وكان على أهبة السفر إلى القاهرة فوعدني أخيراً، وأنظرنني إلى موعد رجوعه لدمشق، ولدى عودتي إلى الفندق وجدت خلاصة مكالمة هاتفية واردة من أهلي، تفيد أن فلاناً، وهو مدير ثانوية خاصة في حلب، قد أبرق يعرض عليّ عملاً يقارب ضعف مرتبي المقطوع .. فقلت في نفسي: إنها البادرة الأولى للفرج الرباني.

وعدت إلى اللاذقية ومن ثم إلى حلب، ولكنني لم أكد أتم الاتفاق حتى فوجئ العالم بنبأ الانقلاب الذي أطاح بالكيان السياسي كله .. وإذا الوحدة التي خلقتها الظروف غير الطبيعية تتبخر خلال ساعات معدودة، ويخلفها نظام جديد .. وحكومة جديدة تولى وزير التعليم فيها صديق لي قديم ..!

ولم أتردد في استجابة الحافز الأول، فشخصت إلى دمشق واتصلت بالوزير الصديق، الذي أحاط بواقع مشكلتي، فكتب عليّ بطاقة خاصة رسالة حاسمة إلى ذلك المسئول، الذي كان قد وجد في تسريحي فرصته الذهبية للانتقام وفيها يقول: إنني أمر بإعادة فلان إلى عمله دون أي تأخير.

وعلى الرغم من محاولات المأمور تأخير التنفيذ، لم يجد مفراً من إلغاء قراره الظالم، فاسترددت مكاني المغصوب .. ثم رحلت أتابع شريط الأحداث، فأرى بعيني إلى مصير الأربعة الذين تواطؤوا عليّ وقد أصبح كل

منهم عبرة لكل ذي عين..!

□ وجاءني الصديق المحامي مرة ثانية ليقول: لا أدري بأي النصرين أهنتك.. بسقوط الذين بغوا عليك أو بعودة حقتك إليك..؟
قلت: ولكن.. أنى للنصرين أن يخفا من أساي لانفصام القطرين..! وأطرق صديقي يفكر بما أثارته عبارتي في نفسه ثم أردف: لست والله بأقل أسى لهذه النهاية.. ولكن.. لا تنسى يا صديقي أن الوحدة التي فقدناها ولدت ميتة منذ يومها الأول، لأنها لم تحمل روح صلاح الدين، ولهذا لم تظفر بالقرار المكين، ثم لم تعرف سبيلها إلى الشاطئ الأمين..! (١)

* خبر عجيب عجيب!!!!

□ يقول الدكتور محمد المجذوب: «سألت أحد طلابي في الجامعة إذا كان قد أتمّ زواجه الذي سبق أن أخبرني به.
فقال: لقد انفرد عقده قبل الدخول، ثم قص عليّ هذا الخبر العجيب الغريب، وخلاصته أن قاضي بلده قد حكم إلغاء عقده، إذ ثبت له أنه ينتمي إلى جماعة إسلامية معروفة، في حين أن زوجته تنتمي إلى إحدى الفرق الثورية.. والقاضي لا يرى تزويج مثلها مثله؛ لأنه ليس لها بكفء!!» (٢)

□ وفي جامع ابن أدهم بجبله من الساحل السوري وقف مفت معروف يخطب المسلمين، وكانت الغيوم متلبدة بين المملكة السعودية ورئيس الوحدة المؤودة، فجعل خطبته صورة من ترهات صوت العرب ومفترياتا على السعودية، ثم ختم خطبته بوجاء للراغبين إلى الحج إلى بيت الله أن يستنزلوا سخط الله على رجال المملكة وهم متمسكون بستار الكعبة!.

(١) «خواطر ومشاعر» لمحمد المجذوب (ص ١٣٢ - ١٣٦) - دار الاعتصام.

(٢) «مشكلات الجيل في ضوء الإسلام» (ص ١١٧ - ١١٨).

و شاء الله أن يجتمع بعض حجاج جيلة ذلك العام حول الكعبة المشرفة فيقول أحدهم: لا تنسوا وصية الشيخ بالدعاء على القوم! وكادوا يفعلون لولا أن قبض الله لهم من أقتعهم بفساد تلك الوصية!!^(١).

* إن عالم السوء سماؤه مظلمة ليس فيها كواكب!!

نظرتة قصيرة وذوقه أعمى!

يتجول بلا هدف

الملة أصبحت بأقواله متفرقة إلى أفراد!

وماذا يبقى من الأمة إن تفرق أفرادها أيدي سبا!

* فتوى للشيخ زكي بدر وفتوى للشيخ الأكبر على مذهب واعتقاد

الخوانج:

□ يقول زكي بدر: «أما الإخوان المسلمون؛ فهم ليسوا بمسلمين لكنهم أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب ظلمًا وعدوانًا على الدين الإسلامي^(٢)، ثم الأدهى من ذلك أن تابعه شيخ الأزهر!! حيث نقلت الصحف المصرية أنه وقعت مصادمات بين المسلمين والنصارى في إحدى قرى الصعيد وبدون معرفة دوافع هذه المصادمات وبدون معرفة من المخطئ ومن المصيب، أصدر شيخ الأزهر هذه الفتوى «مرتكبو أحداث العنف ليسوا بمسلمين!!».

□ قال شيخ الأزهر: إن هؤلاء ممن يسمون بالمتطرفين لا يجب أن نسميهم هكذا فمن أي شيء تطرفوا وهم لا ينسبون إلى الإسلام أصلاً.. وكيف أنسبهم إلى الإسلام وهو العدل الإلهي الذي أوضح أنه من يقدم على

(١) المصدر السابق (ص ١٢١).

(٢) «الوطن العربي» (تاريخ ٣/٢/١٩٨٩م).

جريمة القتل وعلى الإطلام والإفساد قد تخلى وقت ارتكابه الجريمة عن إسلامه لأن رسول الله ﷺ يقول: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن» ولهذا أنه من الإنصاف أن نبحث لهؤلاء القتل عن صفة أو اسم آخر يناسب ما ارتكبوا من جرائم». جريدة الأخبار ١٣/٥/١٩٩٢م.

* حكم التكفير أشد من حكم الحراية :

والغرابية أن شيخ الأزهر أصدر هذا الحكم الجائر دون معرفة أسبابه ودوافعه، ودون معرفة الظالم من المظلوم وبعد إصدار الفتوى والحكم بالتكفير تقول - الأخبار - وحول إمكانية حد الحراية الإسلامي على مرتكبي أعمال العنف في قرية «صنبو».

□ قال الإمام الأكبر: «يجب ألا نستبق الحوادث وهذا طبعي ومبدئي في الحكم على الأشياء قبل أن يتم توصيف الجريمة كما أنني لا أفترض تطبيق عقاب ما دامت الأمور ليست واضحة»، وقال: «لا تنسوا أنه حتى الآن لم تتضح أسباب ما حدث ونحن نقرأ كل يوم أسباباً جديدة لما حدث واتهامات جديدة أيضاً» الأخبار ١٣/٥/١٩٩٢م - ونسي شيخ الأزهر أن إصدار حكم التكفير على المسلم بدون تثبت من وقوع الفعل أولاً وبدون دليل قطعي يفيد أن الفعل كفر مخرج من الملة وبدون إقامة الحجة على الفاعل أبشع وأبشع لما رواه البخاري عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رمى رجل رجلاً بالكفر أو الفسق إلا ارتدت عليه ما لم يكن صاحبه كذلك».

* الرد على شيخ الأزهر وجماعة التكفير :

حقيقة.. أمر مؤسف أن تستدرج الحكومة شيخ الأزهر حتى ينخرط في مذهب الخوارج قديماً وجماعة الهجرة والتكفير حديثاً فيفتي بأن ارتكاب

المعصية كفر يزول وصف الإسلام عن مرتكبها!! مما يترتب عليه تكفير غالبية المسلمين قديماً وحديثاً إذ لا يسلم من ارتكاب الكبائر إلا الأنبياء وصفوة أتباعهم، ولكن لكثرة المناقشة مع جماعة الهجرة والتكفير أصبحت الأدلة سهلة ويسيرة ولا يكلفنا الأمر إلا فتح كتاب من كتب العقائد ثم نبحث عن الفصل الذي يرد على الفرق الضالة، ثم نبحث عن باب الرد على «الخوارج» ثم نتقي ما يكفينا من الأدلة الشرعية، ولكن قبل هذا لا بد أن ننظر في الحجة والبرهان الشرعي الذي استند إليه شيخ الأزهر وهو بعينه الذي كان يستدل به «جماعة التكفير» في تكفيرهم لعصاة المجتمعات الإسلامية من الزناة وشاربي الخمر والسارقين والقتلة وغيرهم.

* دليل شيخ الأزهر:

هو لا يزني الزاني حيث يزني وهو مؤمن - ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن» وقبل الرد أيضاً نريد أن نوجه سؤالاً لشيخ الأزهر: وهو كالاتي: «على افتراض أن الشباب الإسلامي هو السبب في أحداث «صنبو» وأنه هو الظالم وأنه يقع تحت وعيد الحديث المذكور فهل ينطبق الكفر والخروج من الإسلام عليهم فقط، أم يشمل الأصناف المذكورين مع القاتلين وهم الزناة وشاربي الخمر والسارقين؟ فإن قال الشيخ نعم يشملهم لأن دليل تكفير القتلة شمل الباقي.

□ نقول: إذن صارت غالبية مجتمعات المسلمين كلها كافرة!! لأن شرب الخمر والزنى والسرقعة تقع باستمرار من هذه المجتمعات؛ فإن قال: إن الفتوى تقصد، وقت الفعل فقط.

□ نقول: لا. بل الفتوى كانت بعد وقوع الأحداث وقضت بارتفاع وصف الإسلام عنهم بل ووصف التطرف وبأنهم لم يكونوا مسلمين أصلاً،

والآن يكفيننا الرد على مرتكبي جريمة الاقتال لأنه يشمل باقي المذكورين في الحديث، فنقول وبالله التوفيق.

* الاقتال لا يخرج من الإسلام:

أجمع صحابة رسول الله والتابعون والأئمة الأربعة وغيرهم من جماهير السلف والخلف على أن الاقتال لا يخرج المسلمين من إسلامهم، حتى ولو كانت جميع الأطراف مسلمة فضلاً عن كونها غير مسلمة، وقد قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين أقتلتا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله..﴾ الآية.

□ قال ابن كثير: «فسمّاهم مؤمنين مع الاقتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، خلاف ما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة»^(١) . هـ^(٢) .

* من زيارة شيخ الأزهر لأندية الروتاري الماسونية:

في كتاب «من شيخ أزهري إلى شيخ الأزهر.. الأزهر إلى أين؟!» .

□ كتب الشيخ الدكتور عبدالودود شلبي إلى شيخ الأزهر:

«أتوقف معك عند قضيتين أثارنا الجدل، وأشعلتا في النفوس ثورة

الآلم والغضب.

أولى هاتين القضيتين زيارتك إلى أندية الروتاري فمن البديهيات أن

ننأى بأنفسنا عن مواطن الشبهات.. والزعم بأن العبرة بما يقال من (كلام) لا

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير. (٢١١/١).

(٢) «الرأي والرأي الآخر في أسباب الخلاف بين الحكام وشباب الصحوة الإسلامية» (ص ٥٤

- ٥٨) لعثمان القطعاني - دار الإيمان - الإسكندرية.

بالمكان غفلة وإفراط في حسن النية.

أذكر: أن صديقين ذهبا إلى إدارة الأزهر لتهنتك بالمشيخة ومن العجيب والغريب معاً أنهما قدما إليك كتاباً يكشف عن مؤامرات الروتاري والماسونية، وفي يقيني أنك لم تقرأ هذا الكتاب ووصفت من اعترضوا على هذه الزيارة بأنهم جهلة وسفهاء!

لقد أوقعك (الروتاريون) في الفخ . . وحصلوا منك على ما لم يحصلوا عليه من قبل! بل جعلوا من زيارتك (إعلان براءة) و(فتوى شرعية) تبيح لهم التصرف بلا حذر والتغلغل في أعماق الشعب المصري بلا خوف! وهذا هو الهدف الحقيقي من دعوتهم لك . . وهذا هو (الفخ) الذي وقعتم فيه من غير قصد^(١).

* شيخ الأزهر يقول عند موت أحد البطارقة: «لقد مات حبيب الله وحبیب الشعب»!!!

□ وقال الدكتور عبدالودود شلبي:

«عندما توفي أحد البطارقة قال شيخ الأزهر - في ذلك الوقت - : لقد مات حبيب الله وحبیب الشعب»!!!
لو قال هذه الكلمة «مطران» أو «قمص» أو حتى «شماس» لتقبل الناس ذلك بالترحيب والرضا . .

أما أن يقولها شيخ الأزهر فداهية من دواهي الدهر . . ومصيبة وقعت على رؤوس المسلمين في مصر وفي خارج مصر . . ذلك لأن (المجاملة) بمثل هذا الكلام تجاوزت حدود الدين والعقل . . وألقت بالإسلام والمسلمين في

(١) من شيخ ازهري إلى شيخ الأزهر: «الأزهر إلى أين» (ص ٣٥ - ٣٦) - دار الاعتصام للدكتور عبدالودود شلبي.

بحار من الريبة والشك!

ولم تمض سوى أيام قليلة حتى امتلأت مصر كلها بإشاعة تقول: إن شيخ الأزهر قد ارتد وتنصر!! ووصلت الإشاعة إلى الشيخ نفسه فبادر إلى كتابة مقال نشرته صحيفة الأهرام تحت عنوان: «إن الدين عند الله الإسلام» والله أكبر..!!»^(١).

* الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإنجيلية «مركز الدراسات التنصيرية»
لشيخ الأزهر لماذا؟:

«ولأن الشيء بالشيء يذكر.. هل فكرت يا فضيلة الإمام وقبل سفرك إلى الولايات المتحدة، وذهابك إلى الجامعة الإنجيلية التي منحتك الدكتوراه الفخرية.

هل عرفت شيئاً عن هذه الجامعة؟

بل لماذا أنشئت هذه الجامعة؟

هذه الجامعة هي مركز الدراسات التنصيرية.. أي الجامعة التي تعد وتؤهل المنصرين الذين يقومون بتنصير المسلمين في آسيا وفي أفريقيا!!
و«القس» الذي سافر معك، وحصل على نفس الشهادة.. هذا القس هو رئيس الكنيسة الإنجيلية التي تقوم بتنصير المسلمين هنا في مصر المحروسة!!

إن أسماء من ارتدوا على أيدي كهنة هذه الكنيسة معروف عند الجهات المختصة! وهذه الأسماء عندي إن شئت الاطلاع عليها.. بل إن أحد كهنة هذه الكنيسة حاول تنصير طالب أزهري - يعمل الآن إماماً وخطيباً - في

(١) المصدر السابق (ص ٤٠ - ٤١).

إحدى محافظات الدلتا!

ألم تفكر يا فضيلة الإمام.. لماذا وجهت إليك هذه الدعوة؟ ولماذا منحت هذه الشهادة؟

إن هذه الشهادة لا تمنح أصلاً إلا لمن قدموا خدمات جليلة للكنيسة! - ومعاذ الله - أن تخطر ببالنا هذه المخاطرة!.. ولكن حسن الظن يورط صاحبه أحياناً في مزالق خطيرة!!

أطلب الملف الخاص بالكنيسة الإنجيلية أو كنيسة قصر الدوبارة من أمانة الدعوة.. هذا إذا كان الملف لا يزال موجوداً في مكانه بالأمانة العامة؟! (١)

* وإسلاماه:

□ قال اللورد البريطاني المسلم «هيدلي»: لو كان للإسلام دعاء على مستوى الإسلام.. لدان معظم الناس في الغرب والشرق بالإسلام!!! (٢)

لقد وقف الأستاذ T.B. ARVENG (تي. بي. أرفنج) الأستاذ في جامعة (تنسي) (TENECY) الأمريكية، وقف يخاطب المسلمين في مدينة (جلاسجو) ببريطانيا منذ سنوات فماذا قال البروفسور (أيرفنج)؟

لقد قال: إنكم - أيها المسلمون - لن تستطيعوا - أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً، أو اقتصادياً، أو عسكرياً.. في الوقت الحاضر على الأقل، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا هذه الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام!!

أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون.. والذي يتعطش إليه كل الناس في مختلف جنات الأرض.. تعلموا الإسلام وطبقوه.. واحملوه لغيركم من البشر تفتح أمامكم الدنيا.. ويدين لكم كل ذي سلطان..

(١) المصدر السابق (ص ٤١ - ٤٢).

(٢) المصدر السابق (ص ١١٣).

اعطوني أربعين شاباً ممن يفهمون هذا الدين فهماً عميقاً . . . ويطبّقونه على حياتهم تطبيقاً عميقاً ويحسنون عرضه على الناس بأسلوب العصر . . . وأنا أفتح بهم الأمريكتين^(١) !!!

* من يصلح الملح إذا الملح فسد؟! *

□ يقول الدكتور عبدالودود شلبي في كتابه «الأزهر إلى أين؟»^(٢) :

«وأسال الشيخ الدكتور:

في عهد الرئيس الراحل (جمال عبدالناصر) صدر ميثاق العمل الوطني . . . وهذا الميثاق كما هو معروف، وكما قال الرئيس: يعتمد (الاشتراكية العلمية) منهجاً للتحوّل الاجتماعي، والاشتراكية العلمية - كما هو معروف - هي الماركسية!!

وقد فرض تدريس هذا الميثاق على طلبة الأزهر، وسارع كبار شيوخه - في هذا الوقت - إلى الترحيب بهذا الميثاق كأنه وحي أنزل!^(٣) .

* الأزهر يعطي الدكتوراه الفخرية لأحمد سوكارنو المرتد عن الإسلام

والصانع لدين «الفاناشاسيلا»:

وأعود لأسأل الشيخ الدكتور مرة ثانية:

هل تذكر رئيس أندونيسيا السابق (أحمد سوكارنو)؟ بالتأكيد تعرفه .

(سوكارنو) هذا صنع (دينًا جديدًا) للشعب الأندونيسي المسلم أطلق

(١) المصدر السابق (ص ١٣٥)، وكتاب «قضية التخلف العلمي في العالم الإسلامي المعاصر» للدكتور زغلول النجار (ص ١٣٧، ١٣٨) - كتاب الأمة.

(٢) (ص ١٥٨).

(٣) انظر في هذا الموضوع: «الاشتراكية العربية» للدكتور محمد البهي - مطبعة الأزهر و«القيم الروحية في الميثاق» دكتور محمد بيسار.

عليه اسم (الفاناشاسيلا) وكان ديناً يجمع بين الإسلام، والمسيحية،
والشيعية، والهندوكية!!!

وحين ثار الشعب الأندونيسي ضد هذه الهرطقة وهذا الكفر ملئت
السجون بعشرات الألوف، وقُتل الكثيرون بأفواه البنادق. ووضع الزعيم
المسلم الدكتور محمد ناصر وإخوانه في قبو تحت الأرض!!

فماذا كان موقف الأزهر من سوكارنو؟

لقد منحه الأزهر درجة الدكتوراه الفخرية، وقال الأزهر في حيثيات
منحه هذه الشهادة:

إن الأزهر باستقبال فخامتكم اليوم إنما يستقبل قائداً عظيماً من قواد
حركات التحرر في البلاد الإسلامية، يستقبل زعيماً تدرس في الكفاح من
أجل حرية بلاده واستعذاب العذاب من أجل سيادة أمته، واستطاب السجن
والنفى والمشاق في سبيل تكوين شعبه واستقلاله وحياته الكريمة!!

يستقبل الأزهر فخامتكم اليوم مسجلاً تاريخكم المجيد منذ نشأتكم،
وفي شبابكم حتى وقتكم الحاضر. وهو تاريخ مليء بالأحداث الكبرى،
أحداث المجد والعظمة التي ترتبط بعظمة أمة إسلامية كبرى، وبفك أسرها
من قيود الاستعمار الأجنبي، وبتمكين أبنائها من الحياة الإنسانية الكريمة،
وهي حياة الإيمان، والحرية، والعلم والمعرفة، والعمل الصالح المثمر المعمر.

وقد أراد الأزهر أن يعبر عن تقديره لكفاحكم المجيد، فقرر مجلسه
الأعلى في جلسته المنعقدة في السادس والعشرين من شوال سنة ١٣٧٩هـ
الموافق الواحد والعشرين من أبريل سنة ١٩٦٠م، أن يمنح سيادتكم شهادة
العالية الفخرية من درجة أستاذ في الفلسفة، ليرى فيكم ابناً من أبنائه،
وعنصراً من عناصره العاملة المجاهدة!!

وقد كان لمنح الأزهر (سوكارنو) هذه الشهادة وقع الصاعقة على

مسلمي أندونيسيا.. بل على جميع المسلمين في الشرق الأوسط والشرق الأقصى!!»^(١).

* وزير الأوقاف وشئون الأزهر يأمر بصلاة الغائب على «باتريس لومومبا»
رئيس الكونغو وهو شيوعي قح:

وأسأل مرة ثالثة الشيخ الدكتور:

في عهد وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق^(٢) أقيمت صلاة الغائب على (باتريس لومومبا) رئيس جمهورية الكونغو الأسبق، وبأمر من الوزير الأزهرى!

هل يعلم الشيخ الدكتور من كان لومومبا؟

(لومومبا) هذا كان شيوعياً قحاً، ولأنه كان كذلك فقد خلد الاتحاد

السوفيتي الهالك! ذكراه باطلاق اسمه على جامعة في موسكو!!

فكيف بالله أقيمت الصلاة على ملحد.. بل كيف سكت الجميع في

الأزهر، وفي الأوقاف ولم ينطق منهم أحد؟!»^(٣).

* نافق أحمد حسن الزيات جمال عبدالناصر وادّعى أن الوحدة الناصرية

مع سوريا أفضل من الوحدة المحمدية!!

□ وأسأل الشيخ الدكتور وللمرة الرابعة:

هل سمعت بما كتبه.. رئيس تحرير مجلة الأزهر.. لقد كتب يقول

تحت عنوان (أمة التوحيد تتوحد)^(٤):

(١) «الأزهر إلى أين» (ص ١٥٩ - ١٦٠).

(٢) كان هذا في الستينات.

(٣) «الأزهر إلى أين» (ص ١٦٠).

(٤) في محرم ١٣٨٣هـ.

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة؛ لأنها قامت على العقيدة ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة؛ لأنها قامت على السلطان، والسلطان يعثره الوهن فيزول. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية؛ لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق.. والحرية في الرأي.. والديمقراطية في الحكم.. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة!!»

هل يصدق أحد صدور مثل هذا الكلام من مسلم؟
 وهل يتصور عاقل أو حتى مجنون أن يكتب هذا في مجلة الأزهر؟
 والأعجب من هذا كله.. أن الأزهر لم ينطق بكلمة أو يتحرك!!
 لقد ضج العالم الإسلامي من هول الصدمة، وانبرى العلماء والمفكرون يسفهنون هذا المقال وصاحبه في جميع أنحاء الدنيا..

□ يقول علامة المسلمين في الهند «أبو الحسن الندوي» في تعليقه على مقال رئيس تحرير مجلة الأزهر:

اجتمع فريق من الشباب والشعراء في فندق (العرب) في لاهور مرة، وكان في الجماعة شباب شيوعيون في غاية من الذكاء وسلاطة اللسان، وتجادبوا مع الأستاذ «اختر الشيراني» أطراف الحديث، وصاروا يتناقشون معه في موضوعات شتى.

وكان الأستاذ الشيراني قد شرب كأسين من الخمر، وقد فقد رشده وملكته نشوة الخمر، وأخذته رعشة في الجسم، وكان يتكلم كلامًا متقطعًا غير متزن، وكان معروفًا بالإعجاب الشديد بنفسه والتيه بها، وكان لا يعترف بغيره من الشعراء.

ولست أذكر اليوم جيداً الموضوع الذي كان يدور البحث فيه، ولكن أذكر أنه قال: قد ظهر في المسلمين ثلاثة نوابغ عبقرين، أولهم: أبو الفضل^(١). والثاني: أسد الله خان غالب^(٢)، والثالث: أبو الكلام آزاد^(٣)، أما الشعراء المعاصرون فكان لا يعترف لأحد منهم بالمساواة أو المجارة، وقد سأله الشباب الشيوعيون عن الشاعر الكبير (فيض أحمد فيض) فأعرض عن الجواب، وسأله عن (شبير حسن جوش) الشاعر المعروف فقال: ليس بشاعر إنما هو ناظم.

وهكذا كان موقفه من جميع الشعراء المعاصرين، استخفاف أو إعراض، أو تبسم، أو تنكيت، ولما رأى الشباب أنه لا يعترف بقيمة حركة الأدب التقدمي لجأوا إلى موضوع آخر، لعله يثيره أو يحرك منه ساكناً، فقالوا: يا سيدي.. ماذا يقول عن النبي الفلاني؟.. وكانت عيناه محمرتين، وأخذت الخمر فيه كل مأخذ، وكان لا يملك لسانه ولكنه أفاق وقال: ما هذا الهراء؟

لا تتحدثوا إلا عن الأدب والإنشاء والشعر والشعراء، فعطف عنان الكلام إلى أفلاطون، وقال: ما رأيك عن مكالماته؟ وسأله عن أرسطو وسقراط، وكان نشيطاً للكلام فقال: أمة قد خلت.

حدثونا عن شخصياتنا وحاضرنا.. إن أولئك الفلاسفة لو كانوا في عصرنا لتعلمذوا علينا.. ما لنا ولأولئك حتى ندلي برأينا فيهم؟

□ وانتهز شاب من هؤلاء الشباب الشيوعيين فرصة نشاطه ومرحه

(١) من وزراء الإمبراطور أكبر وصاحب «أكبر نامه» الماثرة العلمية في التاريخ وتخطيط البلاد.
 (٢) شاعر أردو، يعتبر من أئمة الشعر الأردني، وصاحب مدرسة خاصة، كان في القرن الثالث عشر الهجري.
 (٣) الأديب المعروف، رئيس المؤتمر الهندي الوطني الأسبق، ووزير المعارف في الهند سابقاً.

فقال: وما رأيك عن سيدنا محمد؟

وكأما نزلت صاعقة وهبت عاصفة، فلم يكد الشاب يتم جملته حتى تناول الشاعر السكران كأس الزجاج وضربها على رأسه قائلاً:

يا قليل الأدب..! أنت توجه هذا السؤال الوقح إلى رجل مذب
معترف بشقائه.. ماذا تريد أن تسمع من فاسق؟ وكان جسمه يرتعد..
وانفجر باكياً، وأجهش بالبكاء، وأقبل على الشاب الوقح يقول له في عنف
وغضب:

كيف سولت لك نفسك يا خبيث أن تذكر هذا الاسم التزيه المقدس؟
كيف تجاسرت على ذلك يا قليل الأدب، يا قليل الحياء، لقد كان لكلامك
مجال واسع.. فلماذا دخلت في هذا الحمى المقدس؟ تب إلى الله من هذا
السؤال الوقح.. إنني أعرف خبث باطنك جيداً، وعرف الشر في وجهه
وكانه يريد أن يفتك بالشاب ويسطو به!!

أما الشاب فقد سقط في يديه، وغاب رشده، ولم يكن يقدر أنه
سيلقى هذه النتيجة الوخيمة، وأنه يوقظ في الشاعر هذا الليث الثائر، ويشير
فيه هذه الشرارة الكامنة.. شرارة الإيمان والحنان، وشرارة الحمية والغيرة،
فكان لا يعرفه إلا شاعر الهوى والشباب، وشاعر الغزل والغرام، وحاول أن
يشغله عن هذا الحديث المثير، وأن يهدئ فيه هذه الثائرة، ولكنه لم ينجح،
ولم تهدأ نائفة (اختر) فأمر بإخراجه من المجلس، ثم قام بنفسه ويات طول
الليل باكياً يقول:

لقد بلغ هؤلاء الشباب الملحدون هذا الحد من الوقاحة والجراءة.. إنهم
يريدون أن يتزعوا منا آخر ما نعتر به ونعيش عليه من حب وولاء، وإخلاص
ووفاء، إنني رجل مذب، لا شك أعترف بذنبي، ولكن هؤلاء يحاولون أن نخلع
ربقة الإسلام، ونخرج من حظيرة الإيمان، لا والله، لا نرضى بذلك!!!

ولكن - وا أسفاه وا ويلاه - ما أبعد المسافة بين هذا الوفاء العجمي وهذه الغيرة الإيمانية الثائرة المضطربة التي يمثلها شاعر لم يكن قط من أبناء العرب، ولم يتكلم مرة بلغة العرب، نشأ بعيداً عن البيئة الدينية والعلمية والأزهر الشريف، عاش في مجالس الشرب ونوادي اللهو، وأوساط الشعر والأدب، وعرف بالاستهتار وخلع العذار.

ما أبعد المسافة بينه وبين أديب كبير.. رضع بلبان اللغة العربية وآدابها الإسلامية، واشتهر بمقالاته في السيرة النبوية والموضوعات الإسلامية، يرأس تحرير مجلة هي لسان حال الأزهر الشريف، مثابة العلم والعلماء ومعقل الدين الخنيف.

كيف يقرن الاسم الذي هو من أكرم الأسماء وأعزها عند المسلمين باسم حاكم مصر، ويقارن بينهما، ثم تبلغ به الوقاحة إلى أن يعلن رجحان «ناصر» في هذا الميزان، وأن الوحدة التي يتزعمها وحدة باقية نامية، أما الوحدة التي دعا إليها محمد ﷺ، فمعرضة للضعف والتحول.. يا ليت له لم تلده أمه.. ويا ليتنا لم نعش لنسمع ذلك!!!»^(١).

* أرضعوا الأمة الرياء والنفاق :

إذا كان هذا حال من تصدر باسم الدين فكيف يكون حال بقية الناس..

□ يقول محافظ أسيوط لعبدالناصر: «يا رب إنا نحبك ولكننا نحب جمالاً فما حيلتنا» فيرقى في اليوم التالي محافظاً للقاهرة.

□ ويقول مدير جامعة أسيوط لعبدالناصر في نفس الزيارة «إن كان الله

(١) لقد ضاعت الوحدة.. وضاعت بعدها القومية والاشتراكية، واحتلت أرض مصر، ثم مات «ناصر» نفسه.

شق البحر لموسى فقد أعطاك ما هو أكبر.. السد العالي» فرقى في اليوم التالي وزيراً للثقافة.

□ وقال ناظر المدرسة التي تعلّم فيها السادات مادحاً له: «إن في خلق السموات والسادات (هكذا وأقسم بالله) لآيات لأولي الألباب.

* وا إسلاماه وا إسلاماه...

يا رجال الدين يا ملح البلد من يصلح الملح إذا الملح فسد؟؟

* يا علماء السوء:

لم تعرضون عن النور وهو الذي أضاء السموات والأرض.. أضاء القلوب وأضاء العقول.. كأنما تصرون أن تعيشوا حياتكم ظلاماً.. ظلاماً بغير نور

* ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾

* يا علماء السوء عودوا إلى الحق:

□ فعلى حدائه الحبيب يسير الركب ثابت الخطى محدد الغايات..

□ وعلى شعاعه المضيء يتحدد الطريق.. فمحنة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

مع الحق..

نجد حلاوته في القلوب، ونعرف مكانه في حنايا الصدور.. أغلى من العمر، وأحلى من الحياة!

مع الحق..

والحق يعلو على البشر، ويعلو به البشر، ولكن لا يعلو عليه بشر..!

مع الحق ..

به حياة الروح، وفي سبيل ذهاب الروح .. ليبقى أشم من الرواسي،
وأخلد ما علي الأرض ..

وللحق العاقبة، طال عمر الباطل أو قصر

* قال تعالى: ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد﴾.

* وقال تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾^(١).

* وأخيراً:

كم تعظ ولا تتعظ؟ حتى متى؟ وإلى متى؟ تزجر ولا تزجر؟ تصف
الطريق للمدجلين، وتبقى مقيماً مع المتحيرين الخائرين.

* يا عالم السوء:

فالذي بين جنيك من العلم يذكرك إن حضر قلبك. وإن غاب قلبك
فمائة ألف واعظ لا يوصلون إليك موعظة.

غزلتُ لهم غزلاً دقيقاً فلم أجد لغزلي نساغاً فكسرت مغزلي

(١) «عندما يحكم الطغاة» لعللي جريشة (ص ٣١) دار الاعتصام.

صبراً جميلاً

إلى السائرين إلى الله على أسنة الحرابِ وجمرِ النيرانِ أهدي هذه
الخطرة:

ولما رأته وجهي وقد غاض^(١) بشره
تفيضُ دموعُ الحزنِ من عينه بحرا
ويذوي^(٢) به روضُ الأمانِي كأنما
رَوتهُ شغاف^(٣) القلبِ من قَيْظِها^(٤) الجمرا
وقد خَطَّ فيه الدَّمْعُ أشباحَ لَوْعَةٍ
وأبدى من الأحرانِ ما جنَّه^(٥) الدهرا
وغارتُ مآقي ناظرِيه كِهائم^(٦)
غريبٍ عن الأوطانِ قد أنفدَ الصِّبرا
كانَ بحارَ الحُزنِ في هذه الدُّنَا
تَفَجَّرُ مِنْ حُزنٍ لَدَى قَلْبِي قَرًّا^(٧)
ولمَّا رأتهُ قَلْبِي تَدَفَّقَ حُزنُهُ
تَدَفَّقَتِ الأحرانُ مِنْ قَلْبِها حَرِيًّا^(٨)

(١) غاض: الماء غيضا: نزل في الأرض وغاب فيها والمراد ذبل الوجه.

(٢) يذوي: ذوى العود: ذبل وييس وضعف. (٣) شغاف: سويداء القلب وجهته.

(٤) قَيْظ: القَيْظ شدة الحر. (٥) جنَّه: أخفاه وستره.

(٦) كهائم: هام: خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه.

(٧) قرأ: أقام وسكن واطمان. (٨) حرى: عطشى (من الحزن).

هَلِ الْحَبُّ إِلَّا مَهْجَةٌ تَشْتَكِي هُنَا
 فَتَذَوِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ أُرْوَا حَهَا طُرًّا^(١)
 وَتَبْكِي وَمَا تَدْرِي لِمَاذَا وَإِنَّمَا
 أَجَابَتْ بُكَاءَ الْحَبِّ إِذِ قَلْبُهَا أُدْرِي
 وَلَمَّا رَأَتْ عَيْنِي قَالَتْ دَموعُهَا:
 عَفَا عَنْكَ رَبُّ النَّاسِ أَسْلَكْتَنَا الْوَعْرَا
 أَمَا قَلْتُ: إِنَّ الْحَقَّ صَعْبٌ طَرِيقُهُ
 وَإِنْ بَنَاتِ الدَّرْبِ قَدْ أَعْيَتِ الصَّبْرَا
 نَبَيْتُ عَلَى رُغْبٍ وَنَغْفُو عَلَى نَوَى^(٢)
 وَنَصْحُو عَلَى قَيْدِ وَزِنَانَةٍ صُغْرَى
 وَنَحْيَا عَلَى مَوْتٍ وَنَبْقَى عَلَى فَنَاءِ^(٣)
 نَخَافُ حَفِيفَ^(٤) الرِّيحِ وَالنَّسْمَةَ السُّكْرَى
 نُحِسُّ رَحِيبَ الْكُونِ مِنْ هَوْلِ كَيْدِهِمْ
 مَتَاهَةَ^(٥) أَشْبَاحِ وَزِنَانَةِ كُبْرَى
 تَعَالَ نَعِيشُ الْعُمَرَ أَمْنَا وَرَاحَةَ
 نَعْبُ^(٦) مِنْ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا السُّحْرَا

(١) طُرًّا: جميعًا.

(٢) نَوَى: فراق وبعد.

(٣) فَنَاءٌ: فناء.

(٤) حَفِيفٌ: صوت الريح في أوراق الشجر.

(٥) مَتَاهَةٌ: الصحراء لا علامة فيها يُهْتَدَى بها.

(٦) نَعْبٌ: عب الماء: شره بلا تنفس ولا مص.

وَنَحْيَا كَمَا الْأَطْيَارُ نَشْدُوا بِأَيْكِهَآ
 تَصُوعُ لَنَا الْأَلْحَانَ تَمْنَحُنَا الْعِطْرَ
 يَغُطُّ^(١) لَدَيْهَا الْقَلْبُ مِلءَ جُفُونِهِ
 وَيَنْسَى لَدَيْهَا الْخَوْفَ وَالذُّلَّ وَالْقَهْرَ
 تَعَالِ نَعِيشُ الدِّينَ سَلْمًا كَمَا الْوَرَى
 عَلَى مَذْهَبِ الْحُكَّامِ نَجْتَنِبُ الشَّرَّ
 فَتَلِكَ جَمُوعَ النَّاسِ تَحْيَا حَيَاتَهَا
 وَتَعْبُدُ رَبَّ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ الضَّرَّ
 فَهَبْ نَسِيمَ الْبِشْرِ أَبْرَدَ مُهَجَّتِي
 وَفَجَّرَ مِنْهَا بَسْمَةَ زَانِ الثُّغْرَا
 فَقُلْتُ: أَيَا حَسَنَاءُ مَهَلًا فَإِنَّهَا
 دُمُوعُ مُحِبِّ تَرْقُبِ الْفَتْحِ وَالنَّصْرَا
 وَحُرْقَةُ أَشْوَاقٍ إِلَى رَبِّهَا تَهْفُو^(٢)
 فَمَا تَرْتَضِي الدُّنْيَا كُنُوزًا وَلَا قِصْرَا
 وَقَلْبُ مُحِبِّ شَفَّه^(٣) الْوَجْدِ^(٤) وَالْجَوَى^(٥)
 وَهَلْ تَمَّ صَبَّ^(٦) دُونَ مَحْبُوبِهِ يَبْرَا

(١) يغط: غط في نومه غطيلاً: ردد النفس في خياشيمه بصوت مسموع «نام نومًا عميقًا».

(٢) تهفو: تحن وتشتاق.

(٣) شَفَّه: ضمَّه وجعله نحيلًا.

(٤) الوجد: شدة الشوق والحب.

(٥) الجوى: اشتد وجده من عشق أو حزن.

(٦) صب: الصب: حامل الصبابة: أي مرارة الشوق أو رفته «العاشق».

وَكُلُّ بَدَاءِ الْحُبِّ مَيِّتٌ فَهَلْ تُسْرَى
 بَدَلْنَا إِلَى الْقِرْدَوْسِ أَرْوَاحَنَا مَهْرًا؟!!!
 فَذَاكَ إِلَى الْحَسَنَاءِ يَهْفُو فَوَادُهُ
 وَيَذْرِفُ دَمْعَ الْقَلْبِ فِي حُبِّهَا ثَرًّا
 وَذَاكَ إِلَى الْجَنَّاتِ فِي الْأَرْضِ قَدْ هَفَا
 وَذَاكَ هَوَى الْأَلْحَانِ وَالخِزْوَالْتِبرَا
 وَقَلْبٌ إِلَى الرَّحْمَنِ يَسْرَى وَجِيْبِهِ^(١)
 يَخْفُ^(٢) إِلَيْهِ الْكُونُ يَشْتَاقُهُ الْمَسْرَى
 فَصَبْرًا عَلَى اللَّأْوَاءِ^(٣) يَا خَوْدُ^(٤) إِنَّنَا
 عَلَى دَرْبِ خَيْرِ الْخَلْقِ لِلْجَنَّةِ الْغَرَاءِ^(٥)
 وَإِنْ طَالَ عَهْدُ اللَّيْلِ دَهْرًا فَإِنِّي
 لِأَسْتَعْذِبُ الظُّلْمَاءَ إِذْ أذْكَرُ الْفَجْرَا
 وَأَذْكَرُ وَجْهَ الْحِبِّ فِي حُلْكَةِ الدُّجَى
 فَأَعْزِلُ ثَوْبَ النُّورِ لِلْبَيْلَةِ الْكُبْرَى
 فَإِنْ مَا رَأَيْتِ الْقَيْدَ أَدْمَى سَوَاعِدِي
 وَأَلْهَبَ حَرَّ السَّوْطِ رِجْلِي وَالظُّهْرَا

(١) وجيبه: وجب القلب وجيباً خفق واضطرب ورجف.

(٢) يخف: خف: أسرع في السير.

(٣) اللأواء: التعب والنصب.

(٤) خود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق.

(٥) الغراء: الغراء: الكريمة الفعال الواضحة المحاسن.

فتلك خضابُ غازلَ الفجرِ حسنُها
وذلك نورٌ يقدّمُ الزّمنَ الحرّاً
فلا تخشى الأغاللَ والسّوطَ والقنبا
ولا تخشى النيرانَ والحرَّ والقرا
فتلك سبيلُ اللهِ في كلِّ بقعةٍ
تُقاسي لظى الأهوالِ تستعذبُ المرّاً
ومن رآه وجهَ اللهِ درياً وغايةً
أعدَّ له الأكَفانَ واستقبلَ القبرا
لنا الأمنُ دونَ العالمينَ وإن زوى
لنا الخلقُ ذاكَ الجوَّ والبحرَ والبرّاً
فما غضبةُ الأملاكِ إن يرضَ ربُّنا
وإن ضانَ ربِّ العرشِ من يملكُ الضراً
تعالى بنا نأوي إلى ظلِّ أيكّةٍ
هنالكَ حيثُ الرّوضُ يحتضنُ النّهراً
ونبني لنا كوخاً على هامِ ربّوةٍ
كسّتها بناتُ الرّوضِ أزهارها العطراً
نعيشُ لديه العُمُرَ صفاً وبسمةٍ
ونحيا لديه الرّهْدَ والرّوحَ والطّهراً

(١) الخضاب: ما يخضب به من ضياء ونحوه.

(٢) القرا: البرد.

(٣) زوى: زوى الشيء: طواه وجمعه.

ويحياً لديه القلبُ يَقْتَاتُ طَاعَةً
 وَيَرشُفُ^(١) ذِكْرَ اللَّهِ يَحْيَا بِهِ الْعُمْرَا
 وَيَسْرَى إِلَى الرَّحْمَنِ قَدْ خَفَّ رَحْلُهُ^(٢)
 فَيَأْتِي دِيَارَ الْحَبِّ كَيْلاً وَمَا أَسْرَى
 وَكَمْ قَدْ سَعِمْتُ الدَّرْبَ أَشْتَاقُ رَاحَةَ
 - زَعَمْتُ - إِذِ الْأَجْسَادُ لَازَمَتِ الْحَدْرَا^(٣)
 وَلَكِنَّهَا الْفِرْدَوْسُ يَبْدُو نَعِيمُهَا
 فَتَعَدُّوا إِلَى الرَّحْمَنِ نَجَاتُهَا^(٤) صَخْرَا
 تَعَالَى إِلَى الرَّحْمَنِ نَرْجُوا جِنَانَهُ
 عَلَى مَذْهَبِ الْمُخْتَارِ أُخْرَى بِهِ أُخْرَى

والحمد لله أولاً وآخيراً

صباح الجمعة ٥ شعبان سنة ١٤٢٣هـ

١١ أكتوبر سنة ٢٠٠٢م

(١) يرشف: رشف الماء مصّة بشفتيه.

(٢) رحله: ما يوضع على ظهر البعير للركوب والمقصود: متاع الدنيا.

(٣) الحدرا: كل ما وارى من بيت ونحوه «ستر يمد للمرأة في ناحية البيت».

(٤) نجاتها: جاز الموضع: سار فيه وسلكه وقطعه.